مز ١٣٠ صرخة من الأعماق

الأب ريمون الهاشم الأنطوني

١٣٠: ٠ *ترنيمة المصاعد*
١٣٠: ١ من الاعماق صرخت اليك يا رب
١٣٠: ٢ يا رب اسمع صوتي لتكن اذناك مصغيتين الى صوت تضرعاتي
١٣٠: ٣ ان كنت تراقب الاثام يا رب يا سيد فمن يقف
١٣٠: ٤ لان عندك المغفرة لكي يخاف منك
١٣٠: ٥ انتظرتك يا رب انتظرت نفسي و بكلامه رجوت
١٣٠: ٦ نفسي تنتظر الرب اكثر من المراقبين الصبح اكثر من المراقبين الصبح
١٣٠: ٧ ليرج اسرائيل الرب لان عند الرب الرحمة و عنده فدى كثير
١٣٠: ٨ و هو يفدي اسرائيل من كل اثامه

المقدّمة

يقوم موضوعنا على دراسة مزمور ١٣٠: ١-٨ حيث المصلّي يشهد بما يعيش مع الله ويدعو إسرائيل إلى الإرتداد كي يستطيع هو بدوره تحقيق ما يحقّقه هو مع الله.

أمّا الطريقة التي سأتّبعها فهي الإستناد على النص كما وصلنا لأضعه في إطاره البعيد والقريب ومن ثم أقسّمه وألاحظ التوزيع البلاغي للصور والأسماء والأفعال ألخ.... التي تكوّنه لأدخل بعدها إلى شرحه.

١-المزمور ١٣٠ في إطاره البعيد

تُقسم المزامير إلى خمسة أقسام حيث ينتهي كل قسم منها بعبارة شكر موجّهة لله:

١ -مز١ – ٤١ وتختمه آ١٣ : "مبارك الربّ إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين فآمين"

٢ -مز ٤٢ – ٧٢ وتختمه آ١٨-١٩ :"مبارك الربّ الله إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده. ومبارك إسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثمّ آمين. تمّت صلوات داود بن يسى"

٣ -مز ٧٣ – ٨٩ وتختمه آ٥٢ : "مبارك الربّ إلى الدهر. آمين فآمين"

٤ -مز ٩٠ – ١٠٦ وتختمه آ٤٨ : "مبارك الربّ إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كلّ الشعب: "آمين" هللويا."

٥ -مز ١٠٧ – ١٥٠ وتختمه آ٥ : "سبحوه بصنوج التصويت. سبحوه بصنوج الهتاف. كل نسمة فلتسبّح الربّ. هللويا."

ينتمي مز ١٣٠ إلى القسم الخامس من كتاب المزامير وبالتحديد إلى المجموعة التي يطلق عليها إسم "مزامير المصاعد" (١٢٠ – ١٣٤)، وكل مزمور منها يدعى "ترنيمة المصاعد". ويبدو أنّ هذه المجموعة كانت تطبع في كتيّب صغير يستخدمه الزائرون القادمون إلى أورشليم في الأعياد العظمى، ليرتلوها وهم صاعدون درجات الهيكل.

٢-المزمور ١٣٠ في إطاره القريب

ينتمي المزمور ١٣٠ إلى مزامير المصاعد (١٢٠- ١٣٤) المحاطة بالمزمور ١١٩ الذي يركزعلى ضرورة حفظ كلام الله ووصاياه والعمل بها، وبالمزمور ١٣٥ الذي يتكلّم عن أعمال الخالق في خلقه وفي شعبه الذي أخرجه من مصر وتابع عمله معه بحفظه من ملوك الأمم التي أضمرت له الشر. وهذان المزموران يؤكدان على ضرورة حفظ كلام الله وذكر أعماله والشهادة بها ليبقى الرجاء قائمًا به وبضرورة استدعائه في كل شيء. وهذا الإستنتاج يمكننا تأكيده في الطريقة الموزعة بها المزامير ١٢٠ – ١٣٤.

بالواقع يتوازى مز١٢٠ مع مز١٣٣ لأنّهما يتكلّمان عن المكان الذي إذا سكنّا فيه نتلمّس البركة ألا وهو أرض إسرائيل حيث الأخوة يتساكنون معًا (١٣٤)، أمّا الأرض الغريبة فهي أرض المبغضين والحرب. أمّا أسباب الابتعاد عن الأرض المباركة فما هو إلا الكذب والغش أي عدم الصدق في عيش وصايا الله (١٢٠). ويتوازى مز١٢١ مع مز١٣٢ نظرًا لتكرار كلمة "عين" وفعل "حفظ" في كلا المزمورين، بالإضافة إلى أن المزمور ١٢١ يؤكّد فيه المصلّي على توكّله على الربّ الذي يحفظه من كلّ سوء ليعود المزمور ١٣٢ ويذكّر بوعد الربّ لداود :"من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك. إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلمهم إياها، فبنوهم أيضًا إلى الأبد يجلسون على كرسيّك" (آ١١-١٢). فالرب يحفظ استمرارية كل من يحفظ وصاياه ويعمل بها. أمّا مز ١٢٣ فيتوازى مع مز١٣٠-١٣١ المرتبطان ببعضهما البعض لأنهما يتضمنان العبارة نفسها: "ليرج إسرائيل الربَّ" (مز١٣٠: ٧ و ١٣١: ٣). ويتحدّث مز١٢٣ عن التواضع الذي ينبغي أن يتمتّع به المصلّي إذ يقول: "كما أنّ عيني الجارية نحو سيّدها" (آ٢) لنرى المصلي في مز ١٣١ يقول بأنّه لم يسلك في العظائم بل أنّه سكّن نفسه كفطيم نحو أمّه أي كشخص لا يرجو إلا رضى الله لأنّ منه حياته. ويذكر مز ١٢٣ أيضًا بأن رأفة الربّ ورحمته لا ننالهما من الربّ إلاّ إذا طلبناهما ونحن متواضعين، لذلك فكما أن الرحمة الإلهية تخلّص من المستهنين والمستكبرين فهي أيضًا تخلّص من الخطيئة وتجلب الغفران لكل من

يضع رجاءه بالرب وبكلامه (مز ١٣٠-١٣١). أمّا مز١٢٢ فهو يتوازى مع مز ١٢٩ لأنّ الصلاة التي يرفعها المصلّي في كِلا المزمورين هي من أجل صهيون أي أورشليم ليرتدّ عنها المبغضين (مز ١٢٩: ٥)، وليحلّ السلام في أبراجها (مز ١٢٢: ٧). ويتوازى مز ١٢٤ مع مز ١٢٨ لأنّ المزمور الأوّل يذكّر بتدخلات الربّ السابقة ليدفع الشعب إلى عيش التقوى في المزمور الثاني. إن الذي يتّقي الربّ يدوم ببركته وديمومته يتلمّسها في سلام عائلته ورزقه وأولاده ونسلهم. أمّا التوازي بين مز١٢٥ و١٢٧ فيقوم على التوكّل الذي يجعل من المتوكلين على الله شبيهين بجبل صهيون (١٢٥) لأن البيت إن يُبني فينبغي أن يُبني بتدخّل الربّ (١٢٧). إن التوكّل على الله هو صلاة يعبّر فيها المتوكّل عن رغبته الحرّة والدائمة بتدخل الرب في أي شيئ يقوم به. ويبقى المزمور ١٢٦ الذي يشكّل محور المزامير ١٢٠-١٣٣ وهو يتكلّم عن فرح الخلاص بعودة المسبيين وعن اكتمال الرجاء بعودة الباقين. لذلك فهدف مجموعة المزامير هذه ما هي إلاّ تعليم الشعب اليهودي على كيفية المحافظة على استمراريته بالمحافظة على عيش كلام الله وشهاداته. والنهاية يبقى المزمور الأخير(١٣٤) في هذه المجموعة وهو يلعب دور الخاتمة التي بها يدعو كاتب المزمور عبيد الربّ إلى توجيه صلواتهم نحو القدس مسكن الله ليباركوا الرب كي ينالوا بركته هو صانع السماوات والأرض أي الذي يملك هما ويملك كل ما يجري بينهما.

نستنتج من خلال ما ورد التوزيع التالي ل مز١٢٠-١٣٤:

أ مز١٢٠

ب مز ١٢١

ج مز ١٢٢

د مز ١٢٣

هـ مز١٢٤

و مز١٢٥

ز مز١٢٦

و١ مز١٢٧

هـ١ مز ١٢٨

ج١ مز١٢٩

د١ مز١٣٠-١٣١

ب١ مز ١٣٢

أ١ مز ١٣٣

مز ١٣٤

٣-تقسيم المزمور ١٣٠

يُقسم مز١٣٠ إلى قسمين: الأوّل وهو نوع من مقدّمة على الصلاة التي سيتلوها المصلّي (آ١-٢)، والثاني وهو مضمون الصلاة (آ٣-٨).

يطلب المصلّي في مقدمته من إلهه أن يستمع إلى صراخه وهي موزّعة على الشكل التالي:

تتوازى آ١ التي تتحدّث عن مصدر صرخة المصلّي القادمة من أعماقه مع آ٢ج التي تصف هذه الصرخة بنوع من التضرّع. أمّا آ٢أ فتتوازى مع آ٢ب لتشكلان محور نص المقدمة أذ أنهما تتضمنان أمنية المصلّي الذي يطلب من الربّ أن يصغي بأذنيه لتضرعاته ويسمعها. لذلك فالآيات ١-٢ تشكّل نصًا محوريًا موزعًا على الشكل التالي:

أ آ١

ب آ٢أ

ب١ آ٢ب

أ١ آ٢ج

أمّا القسم الثاني من مز١٣٠ (آ٣-٨) ففيه آ٣-٤ التي تتوازى مع آ٧ب-٨ نظرًا لتكرار كلمة "الإثم" وموضوع المغفرة. أمّا آ٥ التي تتحدّث عن انتظار النفس فهي تتوازى مع آ٦ التي تتضمّن الموضوع نفسه. وآ٥ب التي تشير إلى رجاء المصلّي بكلام الربّ فهي تتوازى مع آ٧أ التي يدعو فيها إسرائيل ليرجو بدوره الربّ بالطريقة نفسها. لذلك فالآيات ٣-٨ موزعة على الشكل التالي:

أ آ٣-٤

ب آ٥أ

ج آ٥ب

ب١ آ٦

ج١ ٧أ

أ١ آ٧ب-٨

نستنتج من خلال ما ورد التوزيع التالي للنص بكامله:

أ١من الأعماق صرخت إليكَ يا **ربُّ**.
ب ٢يا **ربُّ** اسمَع صوتي.

ب١ لتكن أذناكَ مُصغيتين
أ١ إلى صوت تضرّعاتي.

.....

أ ٣إن كنتَ **تراقبُ الآثامَ** يا **ربُّ** يا سيّدُ،
فمَن يقفُ؟
٤**لأنّ** عندك المغفرةَ.
لكي يُخافَ منك.

ب ٥انتظرتُكَ يا **ربُّ**. **انتظرَت نفسي**،

ج وبكلامه **رَجوتُ**.

ب١ ٦**نفسي تنتظرُ الربَّ** أكثرَ من **المراقبينَ** الصبحَ.
أكثرَ من **المراقبينَ** الصبحَ.

ج١ ٧**ليرجُ** إسرائيلُ **الربَّ**،

أ١ لأنّ عندَ **الربِّ** الرحمةَ
وعندَه فدًى كثيرٌ،
٨وهو يَفدي
إسرائيلَ مِن كلِّ **آثامِه**.

٤-شرح المزمور ١٣٠

إنّ النص بحدّ ذاته يملك روحه الخاص، وكل كلمة فيه لها روحها لأنّ الكلمة ألهم بها روح الله، لذلك لا يمكننا شرح الكلمة ولكن بإمكاننا رؤية نورها من بعد أن نكون قد دخلنا عليها.

بالواقع عاش داود ابتهالاته للرب وكان كلّما أخذ شيئًا من هذا الزمن وفي هذا الزمن ينسبه للربّ، لذلك فهو رأى الربّ. لقد أدرك داود أمرين، الأوّل وهو أنّ كلّ ما حصل عليه هو إنعام من الربّ، وعليه الإعتراف به دائمًا، والثاني وهو أنّه لكي يبقى قريبًا من الله وينال رضاه عليه بعيش كلامه.

إنّ مصدر المُلك بالنسبة لداود هو الربّ بذاته ولقد تساءل مرارًا أمام الرب عن كيفية إبقاء هذا الملك بين يدي نسله. وكان الجواب أنّه ينبغي أن يعلّم ابنه كلمة الله. وبما أنّ داود كان قد عاش الكلمة أي التوكّل الدائم على الله في كلّ شيء فهو حتما دخل إليها ورأى نورها لذلك فهو يستطيع أن يري ابنه نورها ويعلّمه إيّاها. بالواقع لقد طلب الله من داود أن يعلّم ابنه محبّة الله وليس أن يدعه يحب الله. لأن المرء قد يحب الله ويلتزم فيه لأنّه رآه مخيفًا. لذلك متى دخل المرء إلى نور الكلمة فهو يستطيع إدخال الآخرين بها ليريهم نورها.

بعدما استنتجنا ما أراده دواد من خلال هذه المزامير التي تُدعى مزامير المصاعد وعلمنا أنّ الروح ألهمه هذه الصلوات انطلاقًا ممّا كان يعيشه مع الربّ ليعلّم ابنه ونسله على عيش الإتكال الكامل على الله ليستمرّ ملكه بين أيديهم كما وعده الربّ، فإنّنا بقراءتنا لهذا المزمور نجد أنفسنا مدعوين لتطبيقه في كلّ شيء.

أ- صرخة من الأعماق (آ١- ٢)

بالواقع عندما يريد الإنسان المؤمن أن يقوم بأي عمل في حياته، فإنّه يأخذ هذا العمل ويضعه بين يدي الله، وهو يعبّر عن ذلك من خلال تضرعاته وتوسلاته التي بحدّ ذاتها ينبغي أن تنسجم مع ثقته بالله. أمّا الدموع التي تُزرف خلال صلاة من هذا النوع لا يمكن أن تكون فقط دموع توبة أو دموع لجزب شفقة الله بل دموع جهاد تتساقط من عيون المصلي دلالة على ارتياحه وإشارة إلى أنّه نجح في زرع مشروعه في فكر الله. لذلك فهو سيحصد الرزم الكثيرة.

ب-المؤمن يطلب الغفران والله يواجه (٣-٨)

يتمحور النص حول الآيات ٥-٧أ التي تتحدّث عن النفس التي لا تتشتّت عن تدبير الربّ. بالواقع إنّ هذه النفس تتكل على الله بكل شيء تريد القيام به، لذلك فهي تنتظر إلهامات الرب قبل الخطوة التي ينبغي أخذها. إنّ النفس التي تنتظر أكثر من المراقبين الصبح كما يقول المزمور (آ٥و٦) هي إذًا تلك التي تتكل وتنتظر إلهام الربّ لتعمل فيه. وهؤلاء الذين ينتظرون، هم الذين يتّكلون

ويبقون بحالة انتظار ليحين وقت الإلهام :"وبكلامه رجوت" (آ٥ب) والتدبير الذي كلّفوا الله فيه، ونفوسهم خاضعة لله منتظرة تدخّله. بالواقع يأتي الإلهام بعد فترة الإنتظار، والإلهام هو التدبير، أمّا الإنتظار هو علامة واضحة للمنتظر أنّه نجح في تخضيع ذاته لله. والتدبير الإلهي يعني أنّ الله يدبّر للمصلي المتضرّع طلبه، والمصلّي ينتظر إلهام الله ليقوم بخطوته.

أمّا الآيات ٣-٤ التي تتوازى مع الآيات ٧ب-٨ فهي تتحدّث عن طريقة جد مميّزة في التعاطي مع الذي يريد أن يفعل السوء مع المؤمن. يوجه المصلّي كلامه نحو الله قائلاً بما معناه أنه عندما يقدّم لله خطاياه، وعند الله المغفرة، فإنّه مؤمن بأنّه سينال الغفران لكي يُخاف من الله. إنّ الآخر الذي يريد أن يدين المصلّي الذي يقدّم في الوقت عينه خطاياه لأخذ المغفرة ينبغي عليه أن يخاف من الله. في آ٣-٤ هناك شخصان يتصارعان، إذ أن الأوّل يطلب المغفرة والثاني الذي يواجه الأول بدينونته ومطالبته وأحكامه ينغي عليه بحالة كهذه أن يخاف من الله. لماذا؟ لأنّ المواجهة سوف تنقلب لتصبح بين الآخر من جهة والله من جهة أخرى. إن الله بالنهاية سوف يواجه الذي يحاول مطالبة المصلي الذي يطلب الغفران. من هنا تأتي عبارة "منه لربّه" التي تعني ما يلي: كلّما أنا تعدّيت عليك وأنت ذاهب باتجاه الله فإنني سأتواجه مع الله ليصدّني عنك.

أمّا الآيات ٧ب-٨ فهي تحمل دعوة موجهة نحو إسرائيل كي يسلك الدرب الذي يسلكه المصلّي. إن رجاء إسرائيل ينبغي أن يكون بكلام الربّ أي بإلهاماته (آ٧أو٥ب). يمثّل إسرائيل في هذا المزمور الشعب المرتد. وما الإرتداد إلاّ الإتكال على الله. والمتوكّل على الله هو الذي لا ينفّذ مايستنسبه بل ما يُلهمه الله به. والذي يتّكل على الله لا يعود قادرًا على معرفة ما هو مناسب له لذلك فهو يقبل بكلّ ما ييسّره الله له.

الخاتمة

ينتمي المزمور ١٣٠ إلى مجموعة من المزامير التي تهدف إلى تعليم نسل داود على محبة الله كي يتمكنوا من المحافظة على الملك بين إيديهم كون الملك من الله مباشرة. والكلمة التي ولجها داود ليرى نورها كانت الإتكال الدائم على الرب وانتظار إلهاماته كي يتمكن من القيام بخطواته لتكون ثابتة ومثبّتة.